ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

موقف النخبة المثقفة الفرنسية من الثورة الجزائرية (١٩٥٤/١٩٦٢)
فرانز فانون وجون بول سارتر أنموذجًا

د. إبراهيم الهلالي
أستاذ بحث -مركز الدراسات الأندلسية
أستاذ مؤقت -قسم الفنون
جامعة تلمسان – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

النخبة فئة أو أقلية من الناس تتمتع بمواصفات طبيعية أو مكتسبة، يشكل مفهومها منطلقًا منهجيًا لكل فهم حصل في حركة التاريخ الإنساني وما يعتمد فيه من صيرورة وأحداث، الهدف من هذه الدراسة تبيان حقيقة العلاقة بين النخبة المثقفة الفرنسية والثورة التحريرية، الذين يؤمنون بفلسفتهم وحريتهم السياسية، مبادئ دافعوا عنها منذ الحرب العالمية الثانية حتى الثورة الجزائرية لتجسيدها في الواقع، نجد بعض المثقفين الذين شاركوا مشاركة فعلية في تحرير الجزائر، والبعض الآخر بالكتابة والمساندة المطلقة لشعب غير شعبهم، لذلك سأتطرق للأفكار الفلسفية لبعض المثقفين اليساريين تجاه القضية العادلة للشعب الجزائري، الذين اختلفت آراؤهم حول الثورة الجزائرية، على الرغم من همجية ووحشية الجيش الفرنسي. اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، لدراسة فترة من فترات تاريخ الجزائر وتأريخها في الفترة الممتدة بين (١٩٥٤–١٩٦٢)، الغرض سرد ووصف الأرضية المهدة لاندلاع الثورة الجزائرية، وكذلك المنهج المقارن والاستقرائي للمقارنة بين شخصيتين من الشخصيات المثقفة الفرنسية. انخراط "فانون"، ومن بعده "جون بول سارتر"، في خدمة الثورة الجزائرية بكل حرية ووعي وفاعلية جعلهما نموذجًا ثوريًا عمليًا متميزًا عن غالبية المثقفين والسياسيين الفرنسيين، وقد قادهما فهمهما الواعي لجوهر مشكلة الجزائر إلى إدانة خطاب الاستعمار بقلمهما، ثم تحول إلى الانخراط في صفوف الثورة ودعم المجاهدين، من خلال مشاركتهما الفعلية في الثورة التحريرية. رغم أن جرائم الاحتلال الفرنسي الثقافية كانت غاية في القسوة، إلا أنه من مجانبة الصواب القول بأن النخبة المثقفة الفرنسية لم تستطع فعل شيء أمام هذا الواقع المأساوي بل حاولت بكل الطرائق في سبيل الحفاظ على هوية ومقومات هذا الشعب المحتل.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٢٧ ديسمبر ٢٠١٧
تاريخ قبول النشر: ٠٥ فبراير ٢٠١٨

كلمات مفتاحية:

المثقفون، الثورة الجزائرية، النخبة، المبادئ الإنسانية، الاستعمار الفرنسي

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0051259

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

إبراهيم الهلالي. "موقف النخبة المثقفة الفرنسية من الثورة الجزائرية (١٩٥٤/١٩٦٢): فرانز فانون وجون بول سارتر أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد التاسع والثلاثين؛ مارس ٢٠١٨. ص١٠٩ – ١١٤.

مُقَدِّمَةٌ

كانت الثورة التحريرية ومازالت موضوع إلهام وإبداع أدبي وفني وتساؤل فكري، تجلت من خلال تمثيلاتها في مجالات مختلفة، فاقترنت الثورة التحريرية بالتاريخ المشترك للبلدان المغاربية وبتيار القومية العربية وبالمبادئ الإنسانية التي كانت فرنسا ذاتها حاملة لرايتها. فلقد أخذت عدة شخصيات من النخبة المثقفة الفرنسية على عاتقها مهمة الدفاع عن قضية إنسانية هادفة مثل الثورة الجزائرية، التي أسمعت صوتها للعالم بأسره، انطلاقًا من إميل زولا الذي اختار النضال على جبهة فردية من خلال كتاباته المتميزة، وسواه من فلاسفة القرن التاسع عشر أمثال فيكتور هيغو، والفيلسوف الفرنسي- جون بول سارتر، وصديقه الدكتور فرانز فانون، الذين اختاروا الانخراط في النضال

الجزائري ومنحوا أقلامهم قبل أصواتهم لمساندة الثورة الجزائرية، إيمانا منهم بعدالتها وأحقية الشعب الجزائري في نيل الاستقلال.

إذا، فما الدوافع الحقيقية وراء مواقف النخبة المثقفة الفرنسية حول الثورة الجزائرية (١٩٥٤/١٩٦٢)؟ وينبثق من هذه الإشكالية سؤالين جوهرين، يتمثلان فما يلي: ما مفهوم النخبة؟ وما أدوار النخبة المثقفة في المجال الثقافي والاجتماعي والسياسي؟ فما تتمثل مواقف، كل من المفكرين: فرانز فانون وجون بول سارتر حول الثورة الجزائرية؟ هذا ما سوف نرصده في مقالنا هذا، ولكن قبل الخوض في هذه الورقة البحثية، يجب الإشارة إلى مسألة هامة وهي إبراز مفهوم النخبة، وما أدوار النخبة المثقفة في المجال الثقافي والاجتماعي والسياسي.

أولاً: مفاهيم النخبة

وتدل كلمة النُّخبة في اللغة العربية على المختار من كل شيء، وعلى الاصطفاء في كل أمر ولا تحمل في دلالاتها العربية هذه طابعًا سيسيولوجيًا أبستمولوجيًا أو أيديولوجيًا، فاقتصرت دلالتها على الخبرة اللسانية الصرفة التي وردت في قواميس اللغة العربية، وفي مختلف الاستخدامات للإشارة إلى نخبة القوم وصفوتهم وعزوتهم. وتشتق كلمة النُّخبة في اللغة العربية من الفعل: انتخب أي اختار، والانتخاب هو الاختيار والانتقاء، فنخبة القوم تعني خيارهم وصفاوتهم.[١] وجاء في لسان العرب لابن منظور، أن كلمة نخبة مصدرها الفعل انتخب وانتخب الشيء أي اختاره، والنخبة ما اختاره منه، ونخبة القوم، ونخبتهم خيارهم، ويقال: نخبة القوم (بضم النون وفتح الخاء) وإذا قيل جاء في نخب أصحابه، أي خيارهم.[٢]

لقد أشار معجم المصطلحات السياسية والدولية، إلى أن (Elite) يقابلها بالعربية الصفوة أي: عُلِّية القوم، وهم أقلية ذات نفوذ تحكم الأغلبيةً، وتلعب هذه الصفوة دورًا قياديًا، وسياسيا لإدارة جماعاتهم من خلال الاعتراف التلقائي بهم بصفتهم.[٣] ولقد جاء في القواميس الفرنسية، أن النُّخبة أقلية متميزة عن الجماعات التي تنتمي إليها بامتلاكها لخاصية التفوق والقدرة بما تمتلكه من قدرات وخصائص وسمات ومميزات، ويعرف قاموس روبرت الفرنسي- Le Robert النُّخبة بأنها "مجموعة من الأشخاص المتفوقين في الممارسة الاجتماعية في حقل اجتماعي معين، وهم يمتلكون القدرة على التأثير في المجال السياسي والاجتماعي".[٤]

أما منظرو النُّخبة، فيعد المفكر الفرنسي- الطوباوي سان سيمون من الرواد الأوائل لعلم الاجتماع السياسي وهو أول من وضع الخطوط العامة لتحليل النُّخبة بمنهجية سوسيولوجية مكنته من النظر إلى المجتمع كهرم واسع تتمركز في قمته نخبة توجهه وترسم مساره.[٥] ويقرّ سان سيمون في نظريته النخبوية أن وجود النُّخبة أمر ضروري لا بد منه للحياة الاجتماعية مؤكدًا في الوقت ذاته على دورها الكبير في إصلاح المجتمع والنهوض بالحياة السياسية فيه، وذهب إلى الاعتقاد بأنه لا يمكن تحقيق الإصلاح السياسي إلا بتغيير النُّخبة أو تثويرها، ولذا ينبغي أن تسند مهمة الحكم إلى النُّخب الذكية مثل العلماء والفنانين وكبار رجال الصناعة، وضمن هذه الرؤية يؤكد سيمون أهمية المؤهلات العلمية والفكرية وليس الانتماء الأسري والانتماءات التقليدية الأخرى في تشكيل النُّخب وتأهيلها.

وفي نص شهير له سمي "أمثولة سان سيمون" وهي مقالة نشرها عام ١٨١٩ يرى سيمون: أن فرنسا لن تعاني من فقدان ملوكها ونبلائها وكل أنواع سياسييها ولكنها ستصاب بكارثة عمياء إذا ما فقدت علماءها وصناعيها وأفضل حرفييها، فالنُّخب كما يراها تشكل روح الأمة وقوتها الخفية.[٦] عندما نأخذ بمفهوم فألفريدو باريتو للنخبة، بوصفهم الأفراد الأكثر تميزًا وحضورًا وتأثيرًا في مجال اختصاصاتهم عندها نستطيع أن نبني على هذه الرؤية لتحديد مفهوم النخبة الثقافية، وضمن هذا التصور يمكن القول بأن مفهوم النُّخب الثقافية يدل في أبسط تعريفاته على هؤلاء الذين يمارسون تأثيرا أكبر في مجال الانتاج الثقافي، والرمزي في مجتمعاتهم وحقول تخصصاتهم الفكرية، ولا سيما الكتاب والمنظرون والأدباء والشعراء والمفكرون والمنظرون والإعلاميون، ويتميز هؤلاء بطاقتهم الانتاجية في مجال الفكر والثقافة، كما يتميزون بتأثيرهم الكبير في الروح المعنوية والثقافية لشعوبهم وغالبا ما يميز الباحثون بين النخبة الثقافية والمثقفين، فالمثقفون يشكلون طبقة واسعة من العاملين في حقل الثقافة ولكن النخبة منهم ترمز إلى أكثرهم تميّزًا، وتأثيرًا وحضورًا في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع، وهذا يعني أن النخبة الثقافية تتشكل من كبار الأدباء والكتاب والمؤرخين والشعراء والفنانين، الذي يلعبون دورًا مميزًا وحيويًا في مجال اختصاصاتهم الفكرية والمعرفية.[٧]

وبما أن الشأن الثقافي من اختصاص الأكاديميين غالبًا، فإن الاستعمار الفرنسي- لم يدخر جهدًا في الاستعانة بالمستشرقين الفرنسيين لتحقيق غاياته في البلدان التي يحتلها، خاصة في الجزائر التي عدت على الدوام بقعة جغرافية استراتيجية بالنسبة لفرنسا، فلقد كان لهذه الفئة من العلماء والدارسين الدور الأكبر في نجاح أغلب الحملات الغربية على العالم العربي والإسلامي منذ الحروب الصليبية على الشرق، وربما قبل ذلك أيضًا في الأندلس.[٨] ولطالما غطى الاستشراق الفرنسي- على الاحتلال العسكري وما انجر عنه من مآسي بادعاء زائف مفاده أن فرنسا تهدف إلى نشر رسالة حضارية في الوسط الجزائري، وتعليمه اللغة الفرنسية ليكون أقرب إلى منابع الحضارة الغربية، متناسيًا أنه "لا توجد ولا يمكن أن توجد حضارة عالمية بالمعنى الدقيق للكلمة، لأن الحضارة تفترض تواجد ثقافات متنوعة للغاية، بل هي تتمثل في هذا التواجد نفسه، ولا يمكن للحضارة العالمية أن تكون إلا تحالفًا، على الصعيد العالمي، بين ثقافات تحافظ كل واحدة منها على طابعها الخاص".[٩] ورغم ذلك فإن ادعاءهم لم يصمد طويلاً، وكشف الزمن بطلانه من خلال التمييز العنصري، والاضطهاد غير الأخلاقي الذي تعرض له الجزائريون، حتى أولئك الذين صدقوه

في بداية الأمر عن حسن نية، وأرسلوا أبناءهم إلى المدارس الفرنسية.

ولعل الكاتب الفرنسي أوغست برنارد كان أوضح عندما أبان عن الهدف الحقيقي للاستعمار الفرنسي في الجزائر إذ يقول: "إننا لم نحضر- إلى الجزائر لإقرار الأمن، بل لنشر- الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية.. وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية.. ولكنّها جزء من فرنسا كما كانت أيام روما.. إننا نريد أن نجعل هناك أجناساً، تندمج فينا عن طريق اللغة والعادات.. وسيتم هذا بعد نشر لغة فيكتور هوغو".[١٠] رغم محاولة تغيير معالم الثقافة الجزائرية من خلال محاربة مقومات الشخصية المحلية بأبعادها المختلفة، إلا أن القضية الجزائرية كانت من أعدل القضايا العالمية، بدليل الدعم القوي والشعارات المساندة لها، التي رفعها كل ثوار العالم نصرة لها ضد الاستعمار الفرنسي، ومن أبرز صور هذه المساندات والإعلانات، تلك التي جاءت من أبناء جلدة المحتل ذاته الذين كانوا يؤمنون بحق تقرير مصيره، من مثقفين وأطباء وسياسيين، وحتى جنود فرنسيين كلهم رفعوا شعار الجزائر جزائرية، ووقفوا وقفة مناهضة للإجرام الاستعماري الذي تمارسه فرنسا في حق الشعب الجزائري وشقوا رفقة مناضلين آخرين من جنسيات مختلفة طريقاً للحرية والعدالة، وكونوا شبكات لدعم الثورة الجزائرية.

وقد سلك هذه السبيل مؤرخون وباحثون آخرون، منهم بيرك وامريت، حتى ظهر في سنة ١٩٦٠، أثناء حرب التحرير كتاب ج بيرك، لأكست، وبرونا ونوشي،" الجزائر ماضيها وحاضرها"، "نطاق ومراحل نشأة الجزائر الحالية"، فقد وقف هؤلاء المؤرخون موقفا صريحا ضد مزاعم النظام الاستعماري، وأثبتوا أن أمة تكونت تدريجيا خلال التاريخ في الجزائر.[١١] إن التاريخ والأحداث قد أحبطت مكائد الكائدين، ولسنا اليوم في مقام حساب مع خصومنا بالأمس، بل إننا نعترف لهؤلاء المؤرخين بما يعتبر خدمة للعلم، ولكننا لا نقبل أخطائهم ولا استنتاجاتهم المغرضة في تأويل تاريخنا وفهمه، لأنها استنتاجات أملتها ظروف وسياسة معروفة، ونحن لا نقدر المؤرخين المتأخرين الذين توخوا جادة الصواب أحيانا عن غير قصد أو كانوا بسبب تطرفهم عاملا ليقظتنا وتنبيهنا من غفلتنا.[١٢] فلقد أخذت بعض النخبة المثقفة على عاتقها مهمة الدفاع عن قضية إنسانية هادفة مثل الثورة الجزائرية، التي أسمعت صوتها للعالم بأسره، والذين التزموا بمبادئهم ودافعوا عنها منذ الحرب العالمية الثانية حتى الثورة الجزائرية، وحاولوا تجسيدها في الواقع حيث نجد أن بعضهم شارك مشاركة فعلية في تحرير الجزائر، والبعض الآخر بالكتابة والمساندة المطلقة لشعب غير شعبهم، ومن بينهم: (فرانز فانون، جان بول سارتر).

ثانيًا: فرانز فانون

إنه من أهم أصدقاء الثورة الجزائرية والمساندين للقضية الجزائرية العادلة، الذين تبنوا موقفًا معاديًا لما تقوم به فرنسا من جرائم حرب ضد الشعب الجزائري، نجد فرانز فانون الذي لم يكن يعلم شيء عن الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤، وقد انطلقت هذه الأخيرة وفانون يتابع أخبارها من خلال الصحف الاستعمارية.

فرانز فانون من مواليد ١٩٢٥، بفور دي فرانس بجزيرة المارتينيك، وهو طبيب نفسي- ومنظر اجتماعي ومناهض للاستعمار، التحق بالقوات الفرنسية الحرة سنة ١٩٤٣، ثم نقل للمغرب في مدينة الرباط ١٩٤٤، ثم إلى شرشال وبجاية حيث أنهى خدمته العسكرية بتاريخ ١٣جانفي ١٩٤٦، ونشط فانون سياسيا في مدينة البليدة وبدأ في التفكير بالوضع الاستعماري للمستوطنة وبعد استكشافه للأضرار النفسية التي يخلفها الاستعمار من خلال المرضى الذين كان يفحصهم في المستشفى.[١٣] إنه رجل في مظهره هدوء وفي داخله غليان مستمر، أنيق اللباس، لطيف الحركة، لكنه متواضع عن إيمان، لأنه اعتنق الاشتراكية وآمن بها مصيرًا أفضل لكل الشعوب، مثلما آمن بالوحدة كأضمن طريق لشعوب إفريقيا؛ مرهف الحساسية، لكنه مؤمن بضرورة العنف للقضاء على الاستعمار، قدس المبادئ التي اعتنقها إلى درجة أنه طبقها في حياته، ولم يجعلها مجرد نظريات، طبقها رغم ما تعرض له من متاعب كان في غنى عنها كطبيب نفسي ناجح وكاتب لامع أمامه مستقبل مليء بالأضواء والآمال.[١٤]

طريق الصراحة والنظرة السليمة هو الذي قاده إلى الثورة الجزائرية، لأنه فهم بحساسيته المرهفة وبتفكيره العميق إن ثورة الجزائر ليست حركة وطنية محلية، ولكنها حركة تنتشر- أفقيًا فتؤيد وتتضامن مع كل أرض بها معركة ضد الاستعمار، ومع كل نفس ترفض الاستعمار وتمتد عموديًا فتحارب كل رواسب "العنصرية"، والتفكير الرجعي لذلك ارتمى فيها من غير تردد وخدمها بقلمه وفكره ونشاطه، خدمها في البليدة حيث كان مديرا لمستشفى الأمراض العقلية يشتغل مع مناضلي الجبهة في كل المهام التي تفرضها ظروف الكفاح على مناضلي الجبهة، من العناية بالجرحى، إلى حمل السلاح، إلى إيواء القادة أثناء تنقلاتهم وخدمها محررًا في المقاومة الجزائرية ثم في المجاهد وخدمها رئيسًا لبعثة الحكومة الجزائرية في غانا، حيث وجد مرتعًا خصبًا لنشاطه الفياض وتعلقه المتحمس بالوحدة الإفريقية، خدمها بما خلده في كتابيه "العام الخامس للثورة الجزائرية"، "المعذبون في الأرض".[١٥]

وتعتبر سنة ١٩٥٨ نقطة الالتقاء والالتفاف لكل التيارات الوطنية والأحزاب السياسية والجمعيات النقابية، في صفوف جبهة التحرير الوطني والذي تمّ تأسيس جريدة المجاهد، في جوان ١٩٥٦ وهي لسان حال جبهة التحرير الوطني، حيث كلف فانون في سنة ١٩٥٧ بمهمة الإعلام ومن هذا المنطلق، قد ورد في جريدة المجاهد مقتطفات العام الخامس للثورة الجزائرية، وهو من أهم كتاباته التي توضح موقفه الإيجابي، والمساند للثورة الجزائرية والمعادي للاستعمار الفرنسي- وهو عبارة عن دراسة

تحليلية للمجتمع الجزائري، والتحولات الجذرية التي حصلت داخل المجتمع بفضل الثورة، وما أدخلته من نظرة جديدة للحياة، وقد اعتمد على ملاحظاته وتجاربه الشخصية كمناضل، وطبيب نفسي- في جيش التحرير الوطني وجبهة التحرير الوطني.[١٦]

إن انخراط "فانون" في خدمة الثورة الجزائرية بكل حرية ووعي وفاعلية جعله نموذجًا ثوريًا عمليًا، متميزًا عن غالبية المثقفين والسياسيين الفرنسيين، وقد قاده فهمه الواعي لجوهر مشكلة الجزائر إلى إدانة خطاب الاستعمار بقلمه ثم تحول إلى الانخراط في صفوف الثورة ودعم المجاهدين، وذلك من خلال مشاركته الفعلية في الثورة التحريرية.[١٧] وبمعنى آخر؛ أن تأييد فانون للثورة الجزائرية والوقوف بجانبها هو كسب مئات المثقفين إلى جانب القضية العادلة وعندما كتب سارتر تمهيدًا لكتاب فانون "معذبو الأرض"، وضّح بأن فانون أكد تضامنه الكامل مع الشعب الجزائري كفرد فرنسي- وعند تشييع جنازة فانون صرّح ممثل عن الحكومة الجزائرية المؤقتة السيد كريم بلقاسم قائلاً: "فرانس فانون مثالك يبقى دائمًا حيًا نم واسترح في سلام فالجزائر لن تنساك أبدًا"، وفعلاً فالجزائر في عهد الاستقلال لم تنسى فانون، بل شيدت مؤسسات باسمه وكتبت عنه عدة كتب وبحوث أكاديمية في الجامعات الجزائرية.[١٨]

ثالثًا: جان بول سارتر

قبل التطرق الى موقف جان بول سارتر من الثورة الجزائرية، يجدر بنا أن نتطرق أولاً إلى حياته بإيجاز؛ إذن من هو سارتر؟

جان بول أيمارد سارتر، ولد في ٢١ جوان ١٩٠٥ بباريس، بدأ حياته الدراسية في أكتوبر ١٩١٥ بثانوية هنري الخامس بباريس، وقد كان ناجحاً في دراسته، إذ قال عنه أساتذته أنه كان ممتاز في جميع الميادين، وفي ١٩٢٤ دخل سارتر المدرسة العليا للأساتذة حيث التقى بعدة طلبة أصبحوا فيما بعد كنخبة فرنسية، وسجلوا أسمائهم في تاريخ الفكر المعاصر أمثال ريمون أرون، موريس مورلو بوانتي، وبول نزان الخ ...[١٩] ولقد كتب سارتر سنة ١٩٣٨ روايته الأدبية المشهورة " الغثيان"، حيث لقيت تشجيعا من قبل النقاد الأدبيين ومن هنا بدأ سارتر يكتب المقالات والكتب الأدبية والفلسفية، وأصبح معروفا في الأوساط الثقافية والعالمية كأديب وكفيلسوف ورجل يهتم بالسياسة، وفي جوان ١٩٤١ سجن ونقل إلى محتشدات بألمانيا، وبقي إلى مارس١٩٤١ وعمره آنذاك ٣٥سنة.[٢٠] وفي ٢٥ جوان ١٩٤٣، كتب سارتر كتابه المشهور والقيم" الوجود والعدم"، والذي جعله كمفكر ضمن الفلاسفة الوجوديين المعاصرين، وما بين سنوات ١٩٤٠/١٩٦٠ التزم بالكتابة وبالعمل بمواقفه الفعلية، وذلك حسب" فكرة الحرية "عنده وتطورها في كتبه.

حقيقة لم يوجد في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر، فيلسوف كتب كجان بول سارتر في عدة مجالات فكرية وأدبية وفعلا لم يكن فيلسوفا فقط، بل كان أيضا مؤلف للروايات والمسرحيات والقصص، وعالماً نفسانيًا، وعالماً في السياسة والصحافة (بالإضافة إلى هذا فهو رجل يثير الدهشة والأعجاب).[٢١] لقد آمن بفكرة الحرية والتي تعد من بين التزاماته، كما ندّد بشدة وحشية الجيش الفرنسي في الجزائر، حيث كتب سارتر في نهاية الخمسينيات " سجناء الطونا " لكي يبين للرأي العام كيف يمارس التعذيب على الشعب الجزائري على الرغم من أن صحته النفسية كانت متدهورة حسب سيمون دي بوفوار.[٢٢]

بعد أن اكتسب وعيًا مبكرًا معاديًا للاستعمار، وقف جان بول سارتر بحزم جنبًا إلى جنب مع الشعب الجزائري في كفاحه من أجل الكرامة، التزام "الأزمنة الحديثة" (Modernes Temps) في حرب الجزائر سبقت التزام مؤسسها ومديرها جان بول سارتر، في ماي ١٩٥٥ أفرجت المجلة عن عدد حول الصراع، فيه مقال معاد للوجود الفرنسي- في الجزائر بعنوان "الجزائر ليست فرنسا"، ومن هنا بدأت علاقة سارتر بالثورة الجزائرية، صودرت "الأزمنة الحديثة" طوال فترة الحرب التحريرية: أربع مرات في الجزائر، مرة في فرنسا.[٢٣] أما أول مقال كتبه سارتر نفسه عن الثورة الجزائرية، فكان في مارس ١٩٥٦ بعنوان "الكولونيالية عبارة عن نظام"، يبرز فيه الميكانيزمات الاقتصادية والسياسية للاستعمار ويدعو إلى محاربته، فوضع بذلك اللبنة الأولى لجبهة ثقافية فرنسية مناهضة للاستعمار، ولم بتوقف الأمر عند هذا، بل واصل رفضه للسياسة المنتهجة لهذا "النظام" بمداخلة خلال ملتقى من أجل السلم في الجزائر، نظم بقاعة واجرام Wagram في باريس، يوم: ٢٧ يناير ١٩٥٦، تحت رعاية لجنة حركة المثقفين ضد استمرار الحرب في الجزائر.[٢٤]

لم يبدأ وعي سارتر المناهض للاستعمار من هذا التاريخ، ولا من الانتفاضة الجزائرية عام١٩٥٤ بل منذ عدة سنوات، فقد سبق أن قام بدعم قضية الدستور الجديد في تونس وقضية الاستقلال بالمغرب، في المؤتمر الذي شارك فيه عام ١٩٤٨، وفي عام ١٩٥٢ أجرت معه الصحيفة التابعة لفرحات عباس، جمهورية الجزائر (la république Algérienne) مقابلة، وفي خريف عام ١٩٥٥ قدم دعمه لحركة لجنة المثقفين ضد استمرار حرب الجزائر. وقد كان لفرنسيس جانسون (Francis Janson) المتعاون مع "الأزمنة الحديثة"، والذي نشر- مع زوجته كوليت Colette "الجزائر الخارجة عن القانون "L'Algériehorslaloi في ديسمبر ١٩٥٥ مساهمة كبيرة أيضًا في تطور وعي الفيلسوف، ومنذ هذا التاريخ عرف سارتر "تجديدًا أخلاقيًا"، أوصله إلى اكتشاف موضوع جديد للتاريخ، أكثر راديكالية من طبقة البروليتارية وهم المستعمرُون، وقد استفادت الثورة الجزائرية كثيرًا من هذا الاكتشاف، فتحصلت على دعم جبهة ثقافية واسعة في فرنسا.[٢٥]

كتب محمد حربي في ١٩٩٠ قائلاً: ومنذ هذا التاريخ عرف سارتر "تجديدا أخلاقيا" أوصله إلى اكتشاف موضوع جديد للتاريخ، أكثر راديكالية من طبقة البروليتارية وهم المستعمرُون، وقد استفادت الثورة الجزائرية كثيرا من هذا الاكتشاف، فتحصلت على دعم جبهة ثقافية واسعة في فرنسا.[٢٦] فنشرت نصوص سارتر في الفترة الواقعة ما بين مارس ١٩٥٦، أبريل ١٩٦٢، وكشفت عن حرب كلامية قوية، وشجاعة نادرة في عصرنا: فقد كانت حياة الفيلسوف مهددة، وكان منزله في شارع بونابرت قد تعرض مرتين للتخريب من قبل منظمة الجيش السري (OAS). لم يكن **الأمر** يتعلق عند سارتر بمجرد دعاية لمواقف مصطنعة كما نعيشها حاضرا، والتي يتوخى أصحابها فقط تحريك مبيعات كتاب أو الدفع نحو إثارة مجموعة دعوات، تلهفا للظهور الإعلامي.[٢٧] ومع تطور موقف سارتر اتجاه الثورة الجزائرية، وفي فيفري ١٩٦٠، قام بزيارة إلى كوبا مع سيمون دي بوفوار، وتقابل مع الرئيس فيدال كاسترو وزار جامعة هافانا، حيث ناقشا مع الطلبة تطورات الثورة الكوبية، وقارناها بالثورة الفرنسية والثورة الروسية، إلى جانب هذه النشاطات عقدا ندوة صحفية في التلفزة الكوبية، وفي هافانا التقى مع بعض المثقفين البرازيليين واستدعوه لكي يلقي محاضرة ويندد بالسياسة الديماغوجية الفرنسية اتجاه الثورة الجزائرية.[٢٨]

لم تكن معركة سارتر فقط معركة كتابه، بل معركة المثقف الملتزم التي تجسدت على كل الجبهات حيث قادته الأحداث، فقد ساهم في عدة لقاءات من أجل السلم في الجزائر (في جوان ١٩٦٠ وفي ديسمبر١٩٦١ في روما) كما شارك في مظاهرة صامتة في أول نوفمبر ١٩٦١، المنددة بمجازر ١٧ أكتوبر إلى مظاهرة ١٣ فيفري، ١٩٦٢ محتجا على القمع الدموي في مترو "شارون"، كما أدلى بشهادته في جل محاكمات (حاملو الحقائب) والمعروفة بمحاكمة شبكة جونسون، يصرح سارتر: "استعملوني كما تشاؤون".[٢٩] ولقد أعلن سارتر أنه من حاملي الحقائب لجبهة التحرير الوطني الجزائرية، حينما قال في رسالته التي بعثها إلى محامي فرانسيس جانسون: "لو أن فرانسيس جانسون طلب منه حمل الحقائب أو إيواء المناضلين الجزائريين، وأمكن له القيام بذلك دون أن يعرضهم للخطر لفعلته دون تردد".[٣٠] حقيقة أن سارتر دافع وشجع كل ما يساند الثورة الجزائرية، كما شارك في عدة مظاهرات ضد الأعمال الإجرامية المتوحشة، التي تقوم بها السلطات العسكرية في الجزائر يوميا أثناء الثورة التحريرية، ومثل عدة جمعيات سياسية التي نددت بطرق التعذيب والقتل البشع، وتحدث عن الحرية وحقوق الإنسان بالجزائر في ندوة صحفية داخل فرنسا وخارجها، وحضر في عدة محاكم لمحاكمة المناضلين.[٣١]

وهذا ما جعل بعض المثقفين الفرنسيين يذهبون إلى تأييد سارتر، وسياسته تجاه الثورة الجزائرية ففي بداية سبتمبر ١٩٦٠، قام ١٢١ مثقفا فرنسيا بإمضاء بيان رسمي، دفاعًا عن الحقوق الشرعية للشعب الجزائري، معظم الممضيين على الإعلان التاريخي من المثقفين العاملين في مجلة "الأزمنة الحديثة" التي يديرها سارتر، وسيمون دي بو فوار والروائي ميشال بو تور وعالم الاجتماع ماكسيم رود ينسون، وكذلك ابنة فلورنس، والزوجة السابقة كلارا لوزير الثقافة أندري مارو؛ حقيقة فالموقف هنا يثير الدهشة والحيرة، أي كيف يمكن أن ينظم بعض المثقفين الفرنسيين إلى جانب نضال الشعب الجزائري في تقرير مصيره، ويتمردوا على نظام بلادهم، ويقومون ضد سياسة رئيس الجمهورية الجنرال ديغول تجاه الجزائر.[٣٢]

خَاتِمَةٌ

لقد كانت الثورة التحريرية ومازالت موضوع إلهام وإبداع أدبي وفني وتساؤل فكري، تجلت من خلال تمثيلاتها في مجالات مختلفة، فاقترنت الثورة التحريرية بالتاريخ المشترك للبلدان المغاربية وبتيار القومية العربية وبالمبادئ الإنسانية التي كانت فرنسا ذاتها حاملة لرايتها، فلقد أخذت عدة شخصيات من النخبة المثقفة الفرنسية على عاتقها مهمة الدفاع عن قضية إنسانية هادفة مثل الثورة الجزائرية، التي أسمعت صوتها للعالم بأسره، فالقضية الجزائرية كانت من أعدل القضايا العالمية، بدليل الدعم القوي والشعارات المساندة لها، التي رفعها كل ثوار العالم نصرة لها ضد الاستعمار الفرنسي– ومن أبرز صور هذه المساندات، الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر وصديقه الدكتور فرانز فانون.

يُعَدّ مفهوم النخبة (Elite) من المصطلحات التي يعنى بها علم الاجتماع السياسي ويقصد بها طبقة أو أقلية من الصفوة المختارة من أفراد المجتمع، تتمتع بمؤهلات وقدرات طبيعية أو مكتسبة، وتعرف بامتيازاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والثقافية. لقد أخذت عدة شخصيات من النخبة المثقفة الفرنسية على عاتقها مهمة الدفاع عن قضية إنسانية هادفة مثل الثورة الجزائرية، التي أسمعت صوتها للعالم بأسره، والذين اختاروا الانخراط في النضال الجزائري، ومنحوا أقلامهم قبل أصواتهم لمساندة الثورة الجزائرية، إيمانًا منهم بعدالتها وأحقية الشعب الجزائري في نيل الاستقلال. ونستخلص في الأخير من هذه المواقف والكتابات، مدى أهميتها في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية والإجابة على إشكالية الموضوع، المتمثلة في دور المثقفين الفرنسيين في مناصرة الثورة الجزائرية، وأن مواقف فرانز فانون وجان بول سارتر وكتاباتهم، أماطت اللثام عن جزء من الحقيقة التاريخية في وجود مثقفين مخلصين للثورة الجزائرية.

الهَوامِشُ:

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ص٢٤٦٨.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥، ص٧٥١/ ٧٥٢.

(٣) أحمد زكي بدوي، **معجم المصطلحات السياسية والدولية**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٥٢/٥٣.

(4) Akoun André et autres. Le Robert, seuil, dictionnaire de sociologie, France, Editions: les presses de Mama, Octobre 1999, p175.

(٥) إبراهيم العريس، **أمثولة سان سيمون بناء المستقبل مشروط بازدهار الفنون والحرف**، الحياة ١٧ مارس ٢٠١٣، الموقع:
http://alhayat.com/OpinionsDetails/493815

(٦) المرجع نفسه.

(٧) إدوارد سعيد، **المثقف والسلطة**، ترجمة، محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٣٤/ ٣٥.

(٨) رمضان حينوني، **واقع الثقافة في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر**، موقع بوابتي، تونس بتاريخ:٢٠١١/٠٣/١٢، الموقع: (www.myportail.com)
انظر: رحيل أبو الأنثروبولوجيا الحديثة لوسيلة بن شني، بموقع:
http://elkhabar-hebdo.com/site/news-action-show-id-505.htm

(٩) المرجع نفسه.

(١٠) سكينة بوشلوح، **عرض لكتاب الطيب بن إبراهيم**: "الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر" الرابط:
http://forum.meshfakeronline.net/index.php?showtopic=29604

(١١) مولود طياب، تصحيح تاريخنا الوطني وتحرير مبادئه، مجلة الثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد: ٦٧، ١٩٨٢، ص١٥/١٦.

(١٢) المرجع نفسه، ص ١٦.

(13) Mostéfa khiati: les blouses blanches de la révolution, édition ANEB, 2011, p412.

(١٤) حياة ثابتي، **فرانز فانون والثورة الجزائرية**، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان، ٢٠١٥. انظر: مجلة المجاهد، ج٤، ١١ / ١٢ / ١٩٦١.

(١٥) فرانز فانون، **العام الخامس للثورة الجزائرية**، الطبعة الأولى، ترجمة: ذوقان قرقوط، مراجعة: الأستاذ عبد القادر بوزيدة، منشورات آنيب، الجزائر، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٤.

(١٦) عبد المجيد عمراني، **النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية ١٩٥٤ – ١٩٦٢**، دار الشهاب، باتنة، د. ت، ص٩٣.

(١٧) حياة ثابتي، **فرانز فانون والثورة الجزائرية**، ص٠٢.

(١٨) عبد المجيد عمراني، **جان بول سارتر والثورة الجزائرية**، مكتبة مدبولي، باتنة، الجزائر ١٩٩٥، ص٧٢.

(١٩) المرجع نفسه، ص١١.

(٢٠) المرجع نفسه، ص١٢.

(٢١) المرجع نفسه، ص١٣.

(٢٢) عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، ص١٤٠.

(٢٣) سليم بتقة، **الثورة الجزائرية في كتابات المثقفين الفرنسيين_ سارتر نموذجًا_** مجلة أبحاث في اللغة والآدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد:١١، ٢٠١٥، ص٦١.

(٢٤) المرجع السابق، ص٦١.

(٢٥) المرجع نفسه، ص٦١/٦٢.

(26) Mohammed Harbi, «Une conscience libre, «*Les Temps modernes,* Paris, octobre-décembre 1990, p. 1034.

(27) Tous publiés dans *Situations V,* Gallimard, Paris, 1964. Voir Michel Contat et Michel Rybalka, *Les Ecrits de Sartre,* Gallimard, Paris, 1970.

(٢٨) عبد المجيد عمراني، **جان بول سارتر والثورة الجزائرية**، ص١٤١.

(٢٩) رشيد خطاب، **الأصدقاء والخاوة، الدعم العالمي لثورة التحرير الوطنية الجزائرية قاموس بيبلوغرافي**، ترجمة: مصطفى ماضي، دار الكتاب، الجزائر، ٢٠١٣، ص ٢٤٠.

(٣٠) عبد المجيد عمراني، **جان بول سارتر والثورة الجزائرية**، ص١٤٤.

(٣١) المرجع نفسه، ص ١٤٥.

(٣٢) المرجع نفسه، ص ١٤٥.